﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النّحل: 92]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إيرادُ المَثَلِ تأكيدٌ لشَناعَةِ نقضِ الأيمانِ

لمّا أوردَ النّظمُ الجليلُ الأمرَ بالوفاء، والنّهيَ عن نَقضِ الأيمانِ؛ أتبَعَهُ بما يؤكِّدُ وجوبَ الوفاء، وتحريمَ النّقضِ وتقبيحَه، تنفيرًا منه، وزجرًا عنهُ، فقال جلّ شأنُه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾، فأكَّدَ أنّ الوفاءَ قوّةٌ، وأنّ الغدرَ ضَعفٌ[1]، وإيرادُ التّمثيل لتصويرِ بشاعةِ الفعلِ القبيحِ بعدَ النّهي عنه في غايةِ المُناسبَةِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَقَضَتْ﴾: النّونُ والقافُ والضّادُ تدُلُّ اشتقاقاتُها على الهَدم والإفسادِ، وحلِّ أجزاءِ الشَّيءِ بعضِها عن بَعضٍ، وضِدُّه: الإبرامُ، يُقالُ: نَقَضَ الشَّيءَ يَنقُضُهُ نَقضًا، وانتَقَضَ وتَناقَضَ: إذا أفسَدَهُ بعد إحكامِه، ونَقضَ البِناءَ: هَدَمَهُ، ونَقَضَ الحَبلَ أو الغَزلَ: حَلَّ عُقَدَه، ويأتي النَّقضُ بمعنى النَّكثِ، فيُقالُ: نَقَضَ اليَمينَ أو الحُكمَ: إذا نَكَثَهُ[2]، والمقصودُ بالنَّقضِ في الآية: فسخُ ما رُكِّبَ بفعلٍ يُعاكِسُ الفعلَ الَّذي كانَ بهِ التَّركيبُ، واستُعمِلَ هنا على سبيلِ المَجاز في إبطالِ العَهد[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 242، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4257.
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة، وابن سِيده، المحكم، والفيروزابادي، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب: (نقض).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 223.

2) ﴿غَزْلَهَا﴾: الغَزْلُ: مصدرُ غَزَلَ يغزِل غَزْلًا، يُقالُ: غَزَلَتِ المَرأةُ القُطنَ تَغْزِلُهُ غَزْلًا، أي: جَعَلَتهُ خُيوطًا[1]، وحقيقتُه: فتْلُ نُتَفٍ مِن الصّوفِ أو الشَّعرِ لتُجعَلَ خُيوطًا مُحكَمَةَ اتِّصالِ الأجزاءِ بواسطةِ إدارَةِ آلَةِ الغَزلِ، بحيثُ تَلتَفُّ النُّتَفُ المَفتولَةُ باليَدِ فتَصيرُ خَيطًا غليظًا طَويلًا بِقَدرِ الحاجةِ؛ ليكونَ سُدًى أو لُحمَةً للنَّسجِ، والغَزْلُ في الآية: مَصدَرٌ بمعنَى المَفعولِ؛ أي: المَغزولِ؛ لأنَّهُ الَّذي يَقبَلُ النَّقضَ[2].

3) ﴿أَنكَاثًا﴾: أصلُ النَّكثِ: النَّقضُ والإبطالُ بَعدَ الإحكامِ، يُقالُ: نَكَثَ العَهدَ يَنكُثُ نَكثًا؛ أي: نَقَضَهُ بَعدَ إحكامِهِ، وانتَكَثَ الشَّيءُ: انتَقَضَ[3]، والنِّكثُ: الخَيطُ مِنَ الصّوفِ ونَحوِهِ؛ لأنَّهُ يُنقَضُ ثُمَّ يُعادُ فتلُهُ، وجَمعُهُ: أنْكاثٌ[4]، والنَّكثُ أيضًا: الإلغاءُ، تَقولُ: نَكَثَ الاتِّفاقَ، إذا ألغاهُ[5]، والأنكاثُ في الآية مفردها نِكْثٌ؛ بمعنى مَنكوث؛ أي: مَنقوض، ونَظيرُهُ نَقضٌ وأنقاضٌ[6].

4) ﴿دَخَلًا﴾: أصلُ الدّخولِ يدُلُّ على الوُلوجِ، يُقالُ: دَخَلَ يَدخُلُ دُخولًا[7]، ويُقالُ: دَخَلَ مكانَ كذا، والدُّخْلَةُ: بِطانَةُ الأمرِ، تقولُ: إنَّه لَعَفيفُ الدُّخلةِ، وإنَّهُ لَخَبيثُ الدُّخْلَةِ؛ أي: باطنِ أمرِه[8]، والدَّخَلُ: كنايةٌ عنِ الفَسادِ والعَداوَةِ المُستبطَنةِ، وعنِ الدَّعوةِ في النَّسَبِ، يُقالُ: دَخِلَ دَخَلًا، والدَّخْلُ: العَيبُ والرِّيبةُ[9]، ودُخِلَ فلانٌ فهو مَدخولٌ كناية عن بَلَهٍ في عَقلِه، وفسادٍ في أصلِه[10]، والمقصودُ بالدَّخَلِ في الآيةِ: الفَسادُ، والمرادُ: تَجعَلونَ أيمانَكُمُ الَّتي حَلَفتُموها سَبَبَ فسادٍ بَينَكُم، ووسيلَةً للغَدرِ والمَكرِ[11].

5) ﴿أَرْبَىٰ﴾: أصلُ الرّبا: يدُلُّ على الزّيادةِ والنَّماءِ والعُلوِّ[12]، تَقولُ: رَبا الشَّيءُ يَربو

(1) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهري، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (غزل).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 265.
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (نكث).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (نكث).
(5) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة: (نكث).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 265.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دخل).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (دخل).
(9) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والراغب، المفردات: (دخل)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 2/ 590.
(10) الرّاغب، المفردات: (دخل).
(11) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 265.
(12) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ربي - ربأ).

رَبوًا؛ أي: زادَ وكَثُرَ، ومِنهُ سُمّيَ أخذُ الرَّجُلِ أكثَرَ مِمّا أعطَى: رِبًا[1]، ويُطلَقُ بمعنى النَّماءِ، يُقالُ: أربَى الزَّرعُ: نَما وعَلَتْ سيقانُهُ، وأربَيتُ المالَ: إذا نَمَّيْتَهُ[2]، ومِن مَعانيهِ أيضًا: العُلوُّ والارتِفاعُ، ومِنهُ سُمّيَت الرّابيةُ، وهي: المَكانُ العالي المُرتَفِعُ عنِ الأرضِ، ورَبا: أصابَهُ الرَّبوُ؛ والرَّبْوُ: عُلوُّ النَّفَسِ[3]، والمقصودُ بـ ﴿أَرْبَىٰ﴾ في الآية: الزّيادَةُ والكَثرَةُ؛ أي: أزيَد، وهوَ اسمُ تَفضيلٍ، يَحتملُ الحَقيقَةَ؛ أي: كَثرَةَ العَدَدِ، والمَجازَ؛ أي: رفاهيةَ الحالِ وحُسنَ العَيشِ[4].

6) ﴿يَبْلُوكُمُ﴾: أصلُ الابتِلاءِ: الاختِبارُ والامتِحانُ، يُقالُ: بَلَوتُ الرَّجلَ، وابتَلَيتُهُ؛ أي: امتَحَنتُهُ واختَبَرتُهُ وجَرَّبتُهُ[5]، وبَلِيَ الثَّوبُ بِلًى وبَلاءً؛ أي: خَلَقَ، وكأنّي أخلقتُهُ من كثرَةِ اختباري له[6]، وأصلُ الابتِلاءِ مِنَ البَلاءِ، وهو: التَّكليفُ بالأمرِ الشّاقِّ، ويكون في الخَيرِ والشَّرِّ معًا، يُقالُ: أبلَيتُهُ بَلاءً حَسَنًا وبَلاءً سَيِّئًا، ونَزَلَتْ بَلاء على الكُفّارِ[7]، وأكثرُ ما يُستَعمَلُ في المَكروهِ، والمرادُ بـ ﴿يَبْلُوكُمُ﴾ في الآية: يختبرُكُم[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تـقـبـيـحُ حـالِ النّاقِضِ للعَهد

لقد ضرَبَ اللّهُ تعالى في هذهِ الآية مثلًا؛ فيه تقبيحٌ لنقضِ العَهدِ، فقال: ولا تَكونوا - أيُّها النّاسُ - في نَقضِ العُهودِ الّتي أكَّدتُموها كالمرأةِ الّتي تَنقُضُ غَزْلَها ونَسجَها بعد تَقويتِه وإحكامِه، فتَحُلُّ ما نسَجَت وتجعَلُه أنقاضًا، وتَجعلونَ أيمانَكم الّتي حَلَفْتُموها عند

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ربو).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 266.
(3) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، والأزهري، تهذيب اللّغة: (ربو).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (ربا)، والزبيدي، تاج العروس: (ربو).
(5) ابن سِيده، المُحكم: (بلو)، وابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب: (بلا).
(6) الرّاغب، المفردات: (بلى).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بلي - بلو)، وابن سِيده، المُحكم: (بلو).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 266.

التَّعاهُدِ خَديعةً لِمَن عاهَدتُموه، وتَنقُضونَ عَهدَكم إذا وجَدتُم قومًا آخرينَ أكثَرَ مالًا ومَنفعةً مِنَ الّذين عاهَدتُموهُم، إنَّما يَختبِرُكم اللّهُ بما أمرَكُم به مِنَ الوفاءِ بالعُهودِ، ولَيُبَيِّنَنَّ اللّهُ لكُم - أيُّها النّاسُ - يومَ القيامةِ ما كُنتُم فيه تَختَلِفونَ في الدُّنيا، كالاختِلافِ في تَوحيدِه، وتَصديقِ رُسُلِه، وثُبوتِ البَعثِ، والعُهودِ الّتي عَقَدتُموها، فيَحكُم بينَكم، ويُجازي كُلَّ عاملٍ بعَمَلِه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾:

التَّشنيعُ على ناقِضي العَهدِ

الجُملةُ في قولِه جلّ شأنُه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ معطوفةٌ على الجُملةِ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بالواوِ الدّالّة على المُغايَرَةِ في المعنى؛ لِما في الثّانيةِ مِنَ التَّمثيل، وفي الأولى مِنَ النَّهي، وإنْ كانَتِ الثّانيةُ مِن جِهَةِ المَوقِعِ كالتّوكيد للنّهي، فإيرادُ التّمثيلِ بعدَ النّهي تشنيعٌ لحالِ الّذين يَنقُضون العَهدَ[2].

بلاغةُ النَّهي بفِعلِ الكَونِ:

المُبالَغَةُ في النَّهي عَنِ الاتِّصافِ بِصِفَةِ النَّقضِ

آثَرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بِفِعلِ الكَونِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ دونَ أن يقولَ مثلًا: (ولا تُشابِهوا الّتي نَقَضَت)؛ لِما في نَفيِ الكَونِ مِن مُبالغَةٍ في النّفي؛ إذْ إنّ نَفيَ الكَونِ يَقتَضي الامتناعَ عَنِ الوُجودِ على تلكَ الحالِ، وأمّا نفيُ الفِعلِ فهو نَهيٌ عنِ المُزاولَةِ، والنّهيُ عنِ الوُجود أبلَغُ مِنَ النَّهي عَنِ الفِعلِ، فيكونُ قَد نَهاهُم على أبلَغِ ما يكونُ مِنَ الاتِّصافِ بفعلِ هذهِ المرأةِ.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 347، والواحديّ، الوجيز، ص: 617، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 171، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 600، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 448.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 264.

دِلالةُ التَّشبيهِ في الآية وأثَرُه:

تَقبيحُ ناقِض العَهد

أوردَ النّظمُ الجليلُ التّشبيهَ في قولِه جلّ شأنُه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾؛ حيث شبَّهَ "الّذي ينقُضُ عهدَهُ بالمرأةِ الّتي تَفتلُ غزلَها فتلًا شديدًا، ثُمَّ بعد فتلِه تَنقُضُه أجزاءً وصوفًا مُتناثرًا، وهو مَثَلٌ يُضرَبُ لكُلِّ مَن يَعمَلُ عَمَلًا يكونُ لَهُ ثمرَةٌ طيِّبةٌ، ثمّ يَنقُضُ ما تمَّ من جهةٍ، ويُبطِلُ عملَه، فتَفقِدُ ثمرةُ العمَلِ الّذي عَمِلَهُ بحقّها وجهَها"[1]، والمُرادُ مِن هذا التّشبيهِ تقبيحُ النّاقِضِ، حيثُ شبّهه بمثلِ هذه المرأة[2].

دلالةُ الاسمِ الموصولِ (الّتي)، وسِرُّ العدولِ عَنِ التّصريحِ باسم المرأةِ:

القَصدُ الأعظَمُ بيانُ قُبحِ الفِعلِ بصَرفِ النَّظرِ عَن فاعِلِه

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالاسمِ الموصولِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾؛ لَمحًا للفعلِ دونَ الفاعل، فالمُرادُ النّهيُ عنِ الفعلِ المَذكورِ لا بالنّظر لكونهِ مِن فاعلٍ مُعيّنٍ، كما أنّ هذا مِن دأبِ القرآن الكريم؛ حيثُ يُعرِضُ عن ذِكرِ النّاس بأسمائهم غالبًا؛ فالذّمُّ لا يتّجهُ إلى ذات الإنسانِ، بل لفعلِه، فالّتي نقضَت غزلَها "امرأةٌ اسمُها رَيطَةُ بِنتُ سَعدٍ التَّميميَّةُ من بني تَميمٍ من قُريش، وعَبَّرَ عنها بطريق الموصوليَّة لاشتهارِها بمضمون الصِّلة؛ ولأنّ مضمونَ الصِّلةِ هو الحالةُ المُشَبَّهُ بها في هذا التَّمثيل، ولأنّ القرآنَ لَم يُذكَرْ فيه بالاسمِ العلَمِ إلّا مَنِ اشتُهِرَ بأمرٍ عظيمٍ، مِثلُ جالوتَ وقارونَ"[3].

سِرُّ إيثارِ لفظِ (النَّقض) بدلًا مِنَ الفكِّ:

النّقضُ انتثارٌ، والفكُّ انفتاحٌ وانفِراجٌ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالنّقضِ دون الفكِّ في قوله جلّ شأنُه: ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾؛ لأنّ النّقضَ أنسَبُ للتّعبيرِ عَن

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 417، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4257.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 137.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 264.

فكّ المبرومِ والمغزول، فالنَّقضُ: انتِثارُ العَقدِ مِنَ البِناءِ والحَبلِ والعقدِ؛ وهو ضِدُّ الإبرام، يُقالُ: نَقَضتُ البِناءَ والحَبلَ والعِقدَ[1]، أمّا الفكّ فأصلُهُ يدُلُّ على تَفَتُّحٍ وانفِراجٍ[2]، فيُلاحَظُ أنّ النّقضَ مُتعلِّقٌ بالبناء وبالحَبلِ، وهو أنسَبُ لِنَقضِ الغَزلِ مِنَ الفكِّ؛ لأنّ الفكَّ يدُلُّ على الانفِراجِ والانفِتاحِ.

دلالةُ التّعبيرِ بالفِعلِ الماضي:

النَّهيُ واقعٌ على تحقيقِ النَّقضِ، لا على تَجَدُّدِه

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعلِ الماضي في قوله جلّ شأنُه: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾؛ للدّلالة على أنّ المَنهيَّ هو تحقيقُ الفعلِ لا تصويرُه؛ إذ لو عُبِّرَ بالمُضارِعِ هنا لَدَلَّ على تصوير النّقضِ، أو يكون التّشبيهُ واقعًا في كونها تُجَدِّدُ النّقضَ، وهذا ليس المراد في السّياق، وإنَّما جاءَ النّهيُ عن تحقيقِ النّقض، والفعلُ الماضي يدُلُّ على ذَلِكَ، فجيءَ به لمناسبتِهِ السّياقَ.

نكتةُ إضافةِ الغزلِ إلى الضّمير:

أشنعُ الإضرارِ ما وقَعَ بالنّفس وبدّدَ جُهدَها

أضافَ النّظمُ الجليلُ لفظَ الغَزلِ إلى الضّمير العائد على الاسم الموصولِ المُرادِ به المرأةُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾؛ للدّلالة على أنّ المُرادَ الغزلُ الخاصُّ بها، الّذي كانت تنتظرُ الفائدةَ منه، فالضّررُ أصابَها؛ لأنّ النّقضَ في ذات الغزلِ الّذي كانت تغزلُه لا في غزلٍ غيرِه، وهذا يدُلُّ على وجهِ النّهي؛ فإنّ نقضَ القوّةِ إنّما يضرُّ أهلَها.

فائدةُ القيد بالجارِّ والمجرور ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾:

ضياعُ العملِ وقتَ بلوغِه ثمرتُهُ خسارةٌ شَنيعَةٌ

قَيَّدَ النّظمُ الجليلُ فِعلَ النّقض بشبه الجملة مِنَ الجارِّ والمجرور وما أُضيفَ إليه، فقال اللّهُ جلّ شأنُه: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾؛ أي: لا تكونوا كتلك المرأة الّتي نقضَتِ الغزلَ بعدَ إبرامِه وإحكامِه[3]،

(1) الرّاغب، المفردات: (نقض).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فك).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 137.

فأضاعَتْ ثمرةَ الجُهدِ عِندَ بلوغِهِ الغايَةَ، وفيهِ دِلالَةٌ على شدّة الخُسرانِ؛ إذ ضاعَ المَقصودُ بعدَ تحقيقِ العمَلِ وإنجازِهِ، وهذا يدُلُّ على شناعَةِ ذلكَ النَّقضِ.

دلالةُ ﴿أَنكَاثًا﴾:

نـقـضُ الـغـزل يُحيلُه خيوطًا مُفرّقَةً

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ عنِ الغَزلِ الّذي نُقِضَ بأنّه أنكاثٌ في قولِ اللّهِ جلَّ شأنُه: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾؛ أي: طاقاتٍ مُتعدِّدةً مُتفرِّقَةً، وهو حالٌ مِنَ الغَزلِ، ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا به ثانيًا للفعلِ (نَقَضَ)؛ بمعنى: أنّها صيَّرت غزلَها أنكاثًا[1]، والأنكاثُ: "جمعُ نِكث، كنِقض الفَتلِ، هو الشَّعرُ الّذي كان مَفتولًا ثمّ نُقِضَ، وصارَ أجزاءً مُتفرِّقةً بعد الفَتلِ وشدِّ الفَتلِ؛ والمعنى: أنّ العهدَ قوّةٌ"[2]، وأنّ النّقضَ ضَعفٌ؛ لأنّه يُسفِرُ عن أنكاثٍ ضعيفةٍ مُبدَّدةٍ.

دلالةُ التّعبيرِ بالجمعِ ﴿أَنكَاثًا﴾ دون اسم المفعول (منكوثًا):

الـتَّـفـرُّقُ بَـريـدُ الضَّعفِ

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ عنِ الأنكاثِ بصيغة الجَمعِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ دون اسم المَفعولِ، فلم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (نقضَتْ غَزْلَها مِنْ بعد قوَّةٍ منكوثًا)؛ لأنّ صيغةَ الجمعِ هنا تُظهِرُ الضَّعفَ، فما "كان غَزلًا واحدًا جعلتْهُ مَنقوضًا؛ أي: خُيوطًا عَديدةً، وذلك بأن صَيَّرَتهُ إلى الحالة الّتي كانَ عليها قبلَ الغَزلِ، وهي كَونُهُ خُيوطًا ذاتَ عَدَدٍ"[3]، فالجَمعُ دلَّ على ضياعِ الجُهدِ، فالغَزلُ إنَّما يُرادُ منه تَجميعُ الخيوطِ لِتَكونَ شيئًا واحدًا ذا فائِدَةٍ، أمّا إرجاعُ ذلكَ المَغزولِ إلى خيوطٍ كثيرَةٍ؛ فهو دليلٌ على ضياعِ الجُهدِ.

دلالةُ مَوقِعِ جملة ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ عمّا قبلَها:

الـضَّـررُ المُتَعَـدّي أقبحُ مِنَ الضَّرَرِ القاصِرِ

أوردَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿تَتَّخِذُونَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 137.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4257.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 265.

أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾؛ لبيان الحالِ المنهيّ عنها، فالجملةُ حالٌ مِنَ الضّمير في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾؛ أي: لا تكونوا مُشابهين لهذه المرأةِ حالَ كونِكم مُتَّخذينَ أيمانَكم مَفسَدةً بينَكم[1]، وهذهِ الحالُ تُبيّنُ أنّ ضررَ اتّخاذ الأيمانِ للإفساد أشدُّ ضررًا من نقض المرأةِ غَزلَها؛ إذْ ضَرَرُها خاصٌّ بها، أمّا ضررُ الاتّخاذ فهو مَفسدةٌ لذاتِ البَينِ[2].

دلالةُ النّهي الضِّمنِيّ في جملةِ الحالِ:

إيـــرادُ الـحـالِ في حَيّـز النّـهي تقويةٌ لِلنَّهي

أوردَ النّظمُ الجليلُ النّهيَ ضِمنًا في قوله جلّ شأنُه: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾، والنّهيُ مُستفادٌ مِن كونِه حالًا مِنَ الضّميرِ في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾، فيكون "قيدًا للنّهي، فلمّا ورَدَ النّهيُ على المُقيّد مع قيدِه يكونُ القيدُ داخلًا في حيّز النّهي، فإذا نُهوا عن كونِهم كالنّاقضة غزلَها حالَ اتّخاذِهم أيمانَهم دَخَلًا بينَهم؛ فقد نُهوا في ضِمنِه عن أن يتّخذوا أيمانَهُم دَخلًا بينَهُم، فكأنّه قيلَ: ولا تنقضوا عُهودَكُم بعدَ توكيدِها بالأيمانِ مُشبَّهين بالنّاقضة غزلَها أنكاثًا مُتّخِذين أيمانَكُم دخلًا بينَكم"[3]، وقد صرَّحَ بهذا النّهي بعد ذلك قريبًا في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النّحل: 94]، فالنّهيُ مُتَّجِهٌ لاتّخاذ الأيمانِ على تلك الحال.

وإنّما جيءَ بهذا النّهي بهذا الأسلوب؛ لِما فيه من بلاغةٍ في البيان؛ حيثُ أوردَ النّهيَ ضِمنَ التّشبيه الّذي يبيّنُ شناعةَ ذلك العمَلِ.

إيثارُ لَفظِ الاتِّخاذ بصيغَةِ الافتِعالِ:

تكلُّفُ الأخذِ دالٌّ عـلى الإصـــرار وسوءِ النِّيَّةِ

آثَرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بِفعلِ الاتّخاذِ في قوله جلّ شأنُه:

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 137.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 242.
(3) ابن التّمجيد، حاشية ابن التّمجيد: 11/ 372.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ دون غيرِه، فلم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (ولا تجعلوا) مثلًا؛ لأنّ الاتّخاذَ أبلغُ في بيان سوءِ القَصْدِ، فهو يُبيّنُ أنّ الفاعلَ قد عَمَدَ إلى الأيمان وأخَذَها وسيلةً إلى مُبتَغاه، وفي صيغة الافتِعالِ دليلٌ على الكُلفَة والاجتهادِ في ذلك الأخذِ، والمرادُ: بيانُ سوءِ ذلك الفِعلِ المنهيِّ عنه، وفيه إشارةٌ إلى أنّ النّهيَ شاملٌ لفساد الطّويّةِ، وخُبثِ النّيّةِ.

فائدةُ إضافة الأيمانِ إلى ضميرِ المُخاطَبين:

شناعَةُ المُخالَفَةِ مَـع الـعِـلـمِ بِحَقيقَتِها

أضافَ النّظمُ البليغُ لفظَ الأيمانِ إلى ضمير المُخاطَبين في قوله جلّ شأنُه: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾؛ للدّلالة على أنّها أيمانُهم أنفُسهم، فهُم بها عارِفون؛ أي: هي أيمانُهم الّتي نطقوها بأنفسِهم، لا أيمانُ جماعَتِهم الّتي قد يَتَغاضَوْن عنها، فيَستَسهِلون نَقضَها، فهي أيمانُهم منسوبةً إليهم، فلا يَنبَغي بحالٍ أن تُتّخَذَ لإرادَةِ الإفساد.

بلاغةُ المجازِ العقليِّ في وصفِ الأيمانِ بالدَّخَل:

نـقـضُ الأيـمـانِ سَبَبٌ في الإفسادِ

عَبَّرَ النّظمُ البليغُ عَنْ تحوّل الأيمانِ إلى وسيلَةٍ للدَّخَل في قوله جلّ شأنُه: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾، والدَّخَلُ في الأصلِ: ما يَدخُلُ في الشّيءِ على فسادٍ، وهو ليسَ منه[1]، ثمّ استُعمِلَ للدّلالة على الفسادِ؛ لأنّ الفسادَ لازمٌ لأصلِ المَعنى[2]، والمرادُ به هنا "الذّرائعُ إلى الخدع والغَدر؛ وذلك أنَّ المَحلوفَ له مُطمئنٌّ، فيتمكّنُ الحالِفُ مِن ضرِّه بما يُريدُه"[3]، فكأنَّ الأيمانَ اتُّخِذَت وسيلةً للدّخولِ في حَلِفٍ مع سبق نيّةِ الإفسادِ، فدَخَلَ ما ليس مِنَ العهدِ والحَلِفِ فيه، وهو الخداعُ والضّررُ، فنسبةُ الإفساد للأيمانِ نسبةُ المُسَبَّب إلى مُسبِّبه؛

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 137، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 243.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 371.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 418.

أي: "تَجعَلونَها سببَ فسادٍ بينَكُم؛ إذْ تَجعَلونَها وسيلةً للغَدرِ والمَكرِ، فيكونُ وصفُ الأيمانِ بالدَّخلِ مَجازًا عقليًّا"[1].

فائدةُ الظَّرفِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾:

مِـــن أعـظَـمِ الفَسادِ إفسادُ وُدِّ جـمـاعَـةٍ مُتآلِفينَ

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ بالظّرف (بين) في قوله جلّ شأنُه: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾؛ لبيان أنّ ذلك الإفسادَ واقعٌ خلالَ الجَماعاتِ، مُضِرٌّ بها وبأُلفَتِها ووِحدَتِها، كما أنَّهُ يدُلُّ على أنّ الطَّرفَ المُعاهَدَ "والمحلوفَ له يَطمَئِنُّ، فيَفْجَؤُه الضَّررُ، ولو كان على حذَرٍ؛ لَما نيل مِنهُ ولا جُسِرَ عليه"[2]، فالظّرفُ يشيرُ هنا إلى تَبييتِ نيّةِ الإفسادِ مع مَن لا ينبغي أن يُنقضَ عهدُه ويُخانَ؛ لأنّه قريبٌ مُخالِطٌ، فيكون هذا النَّقضُ عظيمَ الإفساد، جليلَ الخطر؛ لأنّه واقعٌ بينَ جماعاتٍ اتّفقوا على مَصالِحِهم، وتآلَفوا فيما بَينَهُم.

دلالَةُ التّعبيرِ بالمَصدَرِ المُؤوّلِ:

بيانُ الحامِلِ على نقضِ الأيمانِ

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ بالمَصدَرِ المؤوّلِ من ﴿أَن﴾ والفعلِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾؛ لبَيانِ علّةِ الاتّخاذِ الّذي يفعلونه، والّذي نُهوا عنه؛ أي: "لأنْ تكونَ جماعةٌ أزيدَ عددًا وأوفرَ مالًا من جماعَةٍ"[3]، فهُمُ اتَّخذوا أيمانَهُم دخَلًا بسَبَبِ كونِ أمّةٍ أزيدَ من أمّةٍ، فالتّعليلُ يبيّنُ علّةَ نقضِ الأيمان المنهيِّ عَن نَقضِها، فالمصدرُ في مَوضِعِ المفعول من أجلِه[4].

سِرُّ إيثارِ لَفظِ ﴿أَرْبَىٰ﴾:

إيـثـارُ الـلّـفـظِ واسـعِ الـدّلالـةِ مِـن مَـعـالِـمِ الإيجاز والإعجاز

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بـ ﴿أَرْبَىٰ﴾ دونَ غَيرِها في قولِه جلّ شأنُه: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾؛ للدّلالة على الأفضليّة والزّيادة على غَيرِها في المكانةِ والقوّة، "وهو اسمُ تفضيلٍ مِنَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 265.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 243.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 238.
(4) ابن جُزَيّ، التّسهيل: 1/ 434.

الرُّبوِّ، بوزن العُلوِّ؛ أي: الزّيادةِ، يَحتمِلُ الحقيقةَ، أعني: كثرةَ العددِ، والمَجازَ، أعني: رفاهيةَ الحالِ وحُسنَ العيشِ، وكلمةُ ﴿أَرۡبَىٰ﴾ تُعطي هذه المعاني كلَّها، فلا تَعْدِلُها كلمةٌ أخرى تَصلُحُ لجميعِ هذه المعاني، فوَقعُها هنا مِن مُقتَضى الإعجازِ، والمَعنى: لا يَبعَثُكُم على نقضِ الأيمانِ كونُ أُمَّةٍ أحسنَ من أُمَّةٍ"[1]، فآثرَ التّعبيرَ بها؛ لِما فيها مِن دلالةٍ على كلِّ تلك المعاني.

علّةُ فصلِ جُملَةِ ﴿إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ عمّا قبلَها:

التّفاضُلُ بينَ العِباد في أحوالِ الدُّنيا مِن ابتِلاءِ اللهِ لَهُم

الجملةُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ مستأنفَةٌ استئنافًا بيانيًّا تعليليًّا، فلمّا حذّرَهُم نقضَ الأيمانِ بِسَبَبِ ما بينَهُم مِن فوارقَ وزيادةٍ؛ بَيَّنَ علّةَ تلكَ الزّيادة، فهو تعليلٌ "بما يقتضي الحِكمةَ، وهو أنّ ذلك يَبتلي اللّهُ به صِدقَ الإيمانِ، كقولِه تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الأنعام: 165]"[2]، وذِكرُ ذلك هنا مِنَ اللُّطفِ بالعِباد، حيث نَفى أن يكونَ ذلكَ التَّفاضُلُ علامَةً على تَقريبِ أحدٍ وإبعادِ غيرِه، أو قبول أحدٍ دونَ آخَرَ، فما ذلك إلّا ابتلاء، وليس دليلًا على أفضليّةٍ ما.

بلاغَةُ الحَصرِ بـ﴿إِنَّمَا﴾:

ابتلاءُ الله تعالى عبادَهُ لا يَنبغي أن يُجهَلَ

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ بأسلوبِ الحَصرِ بـ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾؛ تأكيدًا لمضمون الجملةِ، وهو انحصارُ تلك الزّيادة الكائنة بينَ الأمم في شؤون الحياةِ الدّنيا في الابتلاءِ؛ أي: إنّها ليسَت للتّفاضُل، وهو قَصرٌ موصوفٍ على صفة قصرًا إضافيًّا، وفي التّعبيرِ عنِ القصرِ بـ﴿إِنَّمَا﴾ إيماءٌ إلى أنَّ هذا ليسَ مِن شأنِهِ أن يُجهَلَ أو يُنكَرَ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 266.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 266.

إيثارُ لفظ ﴿يَبْلُوكُمُ﴾ دون غيرِه:

استِمرارُ اختِبارِ الأُمَم بتَفاضُلِها

آثرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالابتلاء دونَ غَيرِه، كالفتنةِ مثلًا، فقال جلّ شأنُه: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾؛ لأنّ الابتلاءَ يدُلُّ على كثرَة الاختبار، "يُقالُ: بَلِيَ الثَّوبُ بِلًى وبَلاءً؛ أي: خَلَقَ، ومنه قيلَ لِمَن سافرَ: بِلْوُ سَفَرٍ وبِلْيُ سَفَرٍ؛ أي: أبلاه السَّفرُ، وبَلَوتُهُ: اختبرتُهُ، كأنّي أخلَقتُه مِن كثرةِ اختباري له"[1]، وبذلك هو أنسبُ للتّعبير عن تفاضُلِ الأمم والجماعات، فالابتلاءُ بهذا التّفاضُلِ لا يكونُ إلّا دائمًا مُستمرًّا، فهو ابتلاءٌ مُكرَّرٌ مُستمِرٌّ.

دلالةُ صيغةِ المُضارع في ﴿يَبْلُوكُمُ﴾:

مِن سُنَنِ اللهِ تعالى ابتِلاؤُهُ العِبادَ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفِعلِ المُضارع في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾؛ للدّلالة على أنَّ ذلك الابتلاءَ دائمٌ مُتجدِّدٌ بدوامِ الحياة والأمَم، وهذا أصلٌ أصيلٌ وغايَةٌ كبرى من غايات الوجودِ والخَلقِ، فأخبرَ اللّهُ تعالى أنّه يبلو عبادَه على سبيل الدّوام، وأنّ ذلك الابتلاءَ سنّةٌ دائمةٌ مُتجدِّدةٌ من سُنن الله تعالى في خَلقِه.

سِرُّ إسنادِ الابتلاءِ إلى الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

تَهيئَةُ العِباد للرِّضا بما قَسَمَهُ اللهُ تعالى بَينَهُم

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالاسمِ الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾ تفخيمًا لشأن البلاءِ، وتأكيدًا لكونِه وقَعَ بعِلمِ اللّه وبإرادَتِه، وأنَّ مردَّهُ لأمرِه، وليس لأسباب الحياة المُجرَّدةِ، وفيه تربيَةٌ للمَهابَةِ، وتهيئَةٌ للنّفوس لِتَقَبُّلِ ذلك التّفاضُلِ الدّنيويِّ بِرِضًا؛ حيث إنّه منَ اللّه تعالى الجامعِ لصفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ.

بيانُ مَرجعِ الضَّمير في ﴿بِهِۦٓ﴾:

الابتلاءُ حاصِلٌ بتفضيلِ الأمَم في شُؤون الحياة

الضّميرُ في ﴿بِهِۦٓ﴾ مِن قول اللّهِ جلّ شأنُه: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ

(1) الرّاغب، المفردات: (بلى).

بِهِۦٓ﴾ يعودُ إلى المَصدر المُنسبكِ من ﴿أَن﴾ وما دخلَتْ عليهِ في قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ﴾[1]؛ أي: يَبْلوكم بأن تكونَ أمّةٌ أربى من أمّةٍ أخرى، فيَخْتَبرُكُم لينظرَ أتتمسّكون بالوفاءِ بالعهد، أو تَنخَلِعون منهُ اعتمادًا على كثرة أنصاركم وقلّةِ أنصارِ مَن نَقَضتُم عهدَه مِنَ النّاس[2].

دلالةُ الواو ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ﴾:

معرفةُ العِبادِ يومَ القِيامَةِ بِمآلاتِ التَّفاضُل

عَطَفَ النّظمُ الجليلُ قولَه جلّ شأنُه: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالواو على قوله: ﴿يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾؛ وذلك لتأكيدِ "أنّه سيُبَيِّنُ لَهم يومَ القيامةِ ما يَختلِفون فيهِ مِنَ الأحوال، فتظهَرُ الحَقائقُ كما هي غيرُ مُغَشّاةٍ بزخارفِ الشَّهواتِ، ولا بمكارهِ مُخالَفةِ الطِّباعِ؛ لأنّ الآخرةَ دارُ الحقائقِ لا لَبْسَ فيها، فيومئذٍ تَعلمون أنّ الإسلامَ هو الخيرُ المَحضُ، وأنّ الكفرَ شرٌّ مَحضٌ"[3]، فكما قُصِرَ التّفاضُلُ في الابتلاء تأكيدًا لكونِه مَحضَ ابتلاءٍ، عُطِفَ عليه تأكيدُ كَونِ التّفاضُلِ سَتُعرَفُ نتائجُهُ يومَ القيامَةِ.

دلالةُ اللّام في أوّلِ الفِعلِ والنّون المُشدَّدة في آخِرِه:

تَعجيلُ الطُّمأنينَة لأهلِ الإيمانِ

أدخلَ النّظمُ الجليلُ على الفعلِ لامَ القسمِ في أوّله، ونونَ التّوكيدِ في آخره في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾؛ وذلك لتأكيد الوعدِ بمُؤكِّدَين[4]؛ تقويةً للخبر، ولأنّ النّفوسَ مَجبولَةٌ على العَجَلَة، فأكَّدَ لَهُم ذلك طَمأنَةً لأهلِ الإيمانِ.

أثرُ استعمالِ صيغَةِ المُضارع:

يَحكُمُ اللهُ تعالى يومَ القِيامَةِ بينَ المُختَلِفين

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعلِ المُضارع في قولِه جلَّ شأنُه:

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 372.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 243.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 266 - 267.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 267.

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ لأنّه حدثٌ واقِعٌ في المُستقبل، فالتّعبيرُ بالمضارع لأجلِ ذلك؛ اعتبارًا بالحقيقة، وهو مُناسِبٌ للقَيدِ اللّاحقِ لَهُ بكونه كائنًا يومَ القيامَةِ.

فائدةُ تقييدِ البيانِ بالجارِّ والمجرورِ والظَّرف:

تَأجيلُ البَيانِ إلى يومِ القِيامَةِ تَحقيقٌ لِمَقصودِ الابتِلاءِ

قَيَّدَ النّظمُ الجليلُ البيانَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بشبهِ الجُملةِ ﴿لَكُمْ﴾؛ اهتمامًا بالمُخاطَبينَ وتخصيصًا لهم، وهو بيانٌ يَبلُغُهم، والمقصودُ به: أنَّه يُبيِّنُ لهم بيانًا على قَدرِهم، وعلى ما يَخُصُّهم ممّا وقَعَ لهم في الحياة الدّنيا من اختلافٍ، وأمّا تقييدُه بالظّرف فللدّلالة على أنّه كائنٌ في ذلك اليوم؛ "أي: إذا تَجَلّى لِفَصلِ القضاءِ يومَ القيامَةِ"[1]، فسيقَ مَساقَ الوعدِ، لتحقيقِ المرادِ منَ الابتلاء؛ إذِ الإحالةُ على يوم القيامة تدُلُّ على توكيلِ العبادِ إلى أنفُسِهم، وما يختارون أن يفعلوهُ إزاءَ الابتلاءِ، ولَو وقَعَ البيانُ في الدّنيا؛ لَما بَقيَ للابتلاءِ مُسَوِّغٌ.

سِرُّ تقديمِ ﴿لَكُمْ﴾ على ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾:

الغايةُ مِنَ البيانِ إظهارُ الحقائقِ للمُخاطَبينَ

قَدَّمَ بليغُ النّظمِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ القيدَ بِشبهِ الجُملةِ على القيدِ بالظّرف؛ لأنّ البيانَ إنّما وقَعَ خاصًّا بالمُخاطَبين، فالغرضُ الأساسُ منه هو التّبيينُ لهم، فقَدَّمَهُم؛ لأنّ ذِكرَهُم في هذا المقامِ أهمُّ.

دلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿مَا﴾ الموصولَةِ:

لا يَتَخَلَّفُ عَن بيانِ اللهِ تعالى شيءٌ

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ بالاسمِ المَوصولِ ﴿مَا﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾؛ للدّلالة على عمومِ ما اختَلَفَ فيهِ النّاسُ والأممُ من شأنِ الإيمانِ والعقائدِ وغيرِها، فكلُّ ذلكَ سَيكونُ ممّا يبيِّنُ للعِباد، كما أنّه يَتناوَلُ ما وقَعَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 244.

فيهِ الاختلافُ على سبيلِ الإفرادِ، فكلُّ أمرٍ اختُلِفَ فيه سيكونُ ممّا يُبيَّنُ يومَ القيامَةِ.

فائدةُ التّعبيرِ بفِعلِ الكَونِ ﴿كُنتُمْ﴾:

رُسوخُ الاختلافِ بينَ الأُمَمِ وعَراقَتُهُ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بفعلِ الكون في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ دون أن يَردَ النَّظمُ القرآنيُّ: (ما فيه تَختلفون)؛ للدّلالة على عَراقَةِ الاختلافِ بَينَهُم، وأنّ ذلك الاختلافَ كان مُتأصِّلًا بينَ الأُمَمِ، وهو مُطابِقٌ لسنّةِ اللّه تعالى في خَلقِه؛ إذ قالَ عزّ ذِكرُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: 118]، فكأنّهم لشِدّة التِصاقِهِم بالاختِلاف قَد جُبِلوا عليهِ.

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿فِيهِ﴾:

المقصودُ الأعظَمُ بيانُ المُختَلَفِ فيهِ

قَدَّمَ النّظمُ البليغُ شِبهَ الجملةِ منَ الجارِّ والمجرور في قوله جلّ شأنُه: ﴿فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ دون أن يَردَ النَّظمُ القرآنيُّ: (تَختلفون فيه)؛ اهتمامًا بالمُقدَّم، فإنّ بيانَ ما وقَعَ فيه الاختلافُ أهمُّ مِنَ الاختلافِ نفسِهِ، كما أنّ تأخيرَ الفعلِ المَصوغِ بصيغة الأمثلةِ الخمسةِ والمختوم بالضّميرِ والنّونِ يحافظُ على البِنيَةِ الصَّوتيَّةِ للنّصّ من حيث الفاصلةُ، وهذا يحافظُ على وِحدَةِ النّسقِ الصّوتيِّ الّذي يسحرُ الألبابَ، ويُشنِّفُ الآذانَ.

سِرُّ إيثارِ التّعبيرِ عنِ الاختلاف بصيغة المُضارِع:

الاختلافُ سنّةٌ مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في الخَلْقِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنُه: ﴿فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾؛ للدّلالة على التَّجدُّدِ والاستمرارِ، فإنّ الاختلافَ في الحياة الدّنيا كان مُستمرًّا مُتجدِّدًا، وهو سنّةٌ من سُنَنِ اللّه في خَلقِه، وهو المعنى الّذي تعبّرُ عنه الآيةُ اللّاحقةُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النَّقضُ والفكُّ:

النَّقضُ: انتِثارُ العَقدِ مِنَ البِناءِ والحَبلِ والعقدِ، وهو ضِدُّ

النّقضُ أخصُّ مِنَ الفكّ

الإبرام، يقال: نَقَضْتُ البناءَ والحَبلَ والعقدَ[1]، أمّا الفكُّ فأصلُهُ دالٌّ على تَفَتُّح وانفراج، ومن ذلك فكاكُ الرَّهن، وهو فتحُهُ من الانغلاق[2]، يُقالُ: فكَكْتُ الشَّيءَ فانفَكَّ، بمَنزلَةِ الكِتابِ المَختوم تَفُكُّ خاتَمه، كما تَفُكُّ الحَنَكَيْنِ تَفصلُ بَينَهُما، وفَكَكتُ الشَّيءَ: خَلَّصتُه، وكُلُّ مُشتَبِكَينِ فصَلتَهُما فقَد فكَكتَهما[3]، فالفكُّ يدُلُّ على الانفراج والانفِتاح، بخلاف النَّقض؛ فإنَّهُ مُتعلِّقٌ بالبناء وبالحبل، وهو أنسبُ للتّعبير عن فكِّ المُبرَم والمَغزول؛ ولذا قال جلّ شأنُه: ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾.

الدَّخَلُ والخيانةُ:

الدَّخَلُ: كنايةٌ عن الفَساد والعَداوَة المُستبطَنة[4]، والمقصودُ في الآية: الفَسادُ، والمرادُ: تَجعَلونَ أيمانَكُمُ الَّتي حَلَفتُموها سَبَبَ فسادٍ بَينَكُم، ووسيلَةً للغَدرِ والمَكر[5]، أمّا الخيانةُ فهي: مُخالَفةُ الحقِّ بنَقضِ العهد في السّرِّ، ونقيضُ الخيانة: الأمانَةُ[6]، فنقضُ العهدِ فيها مُتحقِّقٌ على وجهِ الإسرار، وأمّا الدّخَلُ فهو الفسادُ الدّاخليُّ الباطنُ، ومَقامُ الآية الكريمَةِ لا يُساعِدُ على إرادَةِ الخيانَة.

الدّخَلُ فسادٌ باطِنٌ، والخيانةُ نقضٌ للعَهدِ سِرًّا

الابتِلاءُ والامتحانُ:

الابتلاء: التّكليفُ بالأمر الشّاقِّ، ولا يكون إلّا بتحميل المَكارِهِ غالبًا[7]، وقد يَرِدُ الابتلاءُ بالخَير، كما قال اللّهُ سُبحانَهُ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35] وأمّا المِحْنَةُ فواحدة المِحَنِ الّتي يُمتَحَنُ بها الإنسانُ من بليَّةٍ، يُقالُ: مَحَنتُهُ وامتَحَنتُهُ؛ أي: اختبرتُه، والاسم:

الامتِحانُ عامٌّ، والابتلاءُ خاصٌّ بالشَّدائد غالبًا

(1) الرّاغب، المفردات: (نقض).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فك).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (فكك).
(4) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والراغب، المفردات: (دخل).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 265.
(6) الرّاغب، المفردات: (خون).
(7) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 216، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 34.

المِحنَةُ، ويُقالُ أيضًا: مَحَنَهُ سَوطًا: ضَرَبَهُ[1] وإنّما آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ عنِ الاختبار بالابتلاء في هذا المَوضِع؛ لأنّ المُرادَ منه الشّدّةُ والتّشديدُ، وهذا أنسبُ لسياق تفاضُلِ الأمم بعضِها على بعض؛ إذ إنَّ الابتلاءَ بزيادة أُمّةٍ على أُمّةٍ في المكانة والرّزقِ والمَعاشِ شديدُ المَشقّة على غَيرِهِم وأقرانِهِم.

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (محن).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»